شرح كتاب التوحيد
للشيخ: محمد بن عبد الوهاب –رحمه الله-

الشريط الأول
فريق التفريغ بشبكة الحرائر السلفية

**المتن:**

بسم الله والحمد الله، والصلاة والسلام على رسول الله
قال الشيخ الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب بن سليمان النجدي التميمي -رحمه الله تعالى-:

كتاب التوحيد

وقول الله تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالأِنْـسَ إِلاَّ لِيَعْبُـدُونِ} [الذاريات: 56].

وقوله: {وَلَقَـدْ بَعَثْنَـا فِـي كُـلِّ أُمَّـةٍ رَسُـولاً أَنِ اعْبُـدُوا اللَّـهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} [النحل: 56].

وقوله: {وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّـاهُ وَبِالْوَالِـدَيْنِ إِحْسَـاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَـا فَلا تَقُـلْ لَهُمَـا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيمـاً وَاخْفِـضْ لَهُمَـا جَنَـاحَ الـذُّلِّ مِـنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً} [الإسراء: 24]

وقوله: {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَـيْئاً}، وقـوله: {قُـلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَـيْئاً} [الأنعـام: 153]

قال ابن مسعود –رضي الله عنه-: "من أراد أن ينظـر إلـى وصية محمد صلى الله عليه وسلم الـتي عليهـا خـاتمه فليقـرأ قوله تعالى: {قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُـمْ عَلَيْكُـمْ أَلَّا تُشْـرِكُوا بِهِ شَـيْئاً} - إلـى قـوله تعـالى: {وَأَنَّ هَـذَا صِـرَاطِي مُسْـتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ} الآية.

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: "كنت رديف النـبي صلى الله عليه وسلم على حمار فقال لي: يا معـاذ أتـدري مـا حق الله على العباد؟ وما حـق العبـاد علـى اللـه؟ قلـت: اللـه ورسـوله أعلـم؛ قـال: حـق اللـه علـى العبـاد أن يعبـدوه ولا يشركوا بـه شـيئًا، وحـق العبـاد علـى اللـه أن لا يعـذب مـن لا يشرك به شيئًا؛ قلت: يا رسول الله، أفلا أبشر الناس؟ قال: لا تبشِّرهم فيتكلوا" أخرجاه في الصحيحين.

**الشيخ:** ما شاء الله، طيب تعيد جملة جملة.

**الطالب:** قال الشيخ محمد بـن عبـد الوهـاب -رحمـه اللـه تعالى-: كتاب التوحيـد وقـول اللـه تعـالى: (وَمَـا خَلَقْـتُ الْجِـنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ).

**الشيخ:**

الحمد الله رب العـالمين، اللهـم صـلِّ وسـلم علـى عبـدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قوله: "كتاب التوحيد": الكتاب في اللغـة: الضـم والجمـع، وفي الاصـطلاح: اسـم لجملـة مـن العلـم يشـتمل غالبًـا علـى أبـواب وفصـول ومسـائل، والتوحيـد فـي اللغـة: مصـدر وحـد ويوحد توحيدًا؛ أي: أفرد ربه بالعبادة، والتوحيـد فـي الاصـطلاح أو لسان الشرع: هو إفراد الله تعالى بالعبادة بكل عبادة مالية أو بـدنيه أو همـا معًـا، وهـو الإقـرار بربـوبيته والإيمـان بحـق بأسمائه وصفاته، وأنواعه ثلاثة: وهذا الحصر بالتتبع والاستقراء من نصوص الكتاب والسنة أن أنواع التوحيد ثلاثة:

**توحيـد الربوبيـة** وتعريفه: هو الإقـرار بـأن اللـه -تبـارك وتعـالى- خـالق كـل شـيء ومـدبر جميـع الأمـور والمتصـرف بالكون بما يشاء ويريد؛ بالنفع والضر والإحياء والإماتة والخلـق والرزق؛ لأنه رب العـالمين ورب كـل شـيء، وهـذا النـوع مـن أنواع التوحيد توحيد الربوبية أقر بـه كفـار قريـش؛ أي أن اللـه -تبـارك وتعـالى- هـو الخـالق الـرازق وأنـه المحيـي المميـت، ولكنهم لـم يقـروا بتوحيـد الألوهيـة والأسـماء والصـفات؛ فلـم ينفعهم الإقرار بتوحيد الربوبية، الله -عز وجل- أخبر عنهم أنهم أقـروا بربوبيتـه؛ قـال اللـه تعـالى: {وَلَئِنْ سَـأَلْتَهُمْ مَـنْ خَلَقَهُـمْ لَيَقُـولُنَّ اللَّـهُ} [الزخـرف: 87]، {وَلَئِنْ سَـأَلْتَهُمْ مَـنْ خَلَـقَ السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَـخَّرَ الشَّـمْسَ وَالْقَمَـرَ لَيَقُـولُنَّ اللَّـهُ} [العنكبوت: 61] غير أنـه لـم يـدخلهم فـي الإسـلام؛ لأنهـم لـم يوحدوا الله في عبادته.

**والنوع الثاني: توحيد الألوهية** ويُقال الإلهية: وهو إفراد الله -تبارك وتعالى- بجميع العبادة الـتي يجـب أن تصـرف للـه ولا يجوز أن تصرف لأحـد سـواه ومنهـا الاسـتعانة والاسـتعاذة والاستغاثة والذبح والنـذر والخـوف والخشـية والإنابـة والرجـاء والتوكل وغيرها من أنواع العبادات؛ التي لا يجوز صرفها لغيـر الله -تبارك وتعالى-.

**والنوع الثـالث: توحيـد الأسـماء والصـفات** الواردة؛ أي أسـماء اللـه وصـفاته الـواردة فـي الكتـاب والسـنة، وتحقيـق التوحيد فيهـا الإيمـان الحـق ظـاهرًا وباطنًـا بـأن للـه الأسـماء الحسنى والصفات العلـى علـى الـوجه اللائق بعظمتـه وجلالـه {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى: 11].

وهذه الأنواع الثلاثة نوع منها يسمى توحيد القصد والطلب، ونوع يسمى توحيد المعرفة والإثبات؛ فتوحيد القصد والطلـب: هو توحيد الألوهية؛ أي أنه مطلوب من العباد أن يتوجهـوا إلـى اللـه بعبـاداتهم وأن يقصـدوا بهـا وجـه اللـه -تبـارك وتعـالى- مخلصين له الدين.

والمعرفة والإثبات يتناول توحيـد الربوبيـة وتوحيـد الأسـماء والصفات، توحيد الربوبية؛ أي إثبات ربوبية الله -تبارك وتعالى- ومعرفته حق المعرفة؛ أن تعرف ربك بآيـاته ومخلوقـاته ومـن آياته الليل والنهار والشمس والقمـر والنجـوم وغيـر ذلـك مـن المسخرات بإذن الله -تبارك وتعالى- ومن مخلوقاته السموات والأرض وما بينهما والعوالم عالم الملائكة وعالم الإنس والجن وعالم الشياطين وعالم الطير وعالم الوحش؛ كـل ذلـك دليـل علـى قـدرة اللــه -تبـارك وتعـالى- وأننـا نعـرف ربنـا بهـذه المخلوقات وبغيرها مما أنبأنا الله -تبارك وتعالى- به عن نفسه في نصوص الكتاب والسنة.

وبَيْن توحيد القصد والطلب وتوحيد المعرفة والإثبات بينهما تلازم، ومعنى التلازم بينهما: أن توحيد القصد والطلب يتضـمن توحيد المعرفـة والإثبـات، وتوحيـد المعرفـة والإثبـات يسـتلزم توحيـد الطلـب؛ أي أن توحيـد الربوبيـة والأسـماء والصـفات يسـتلزم توحيـد الألوهيـة وأن توحيـد الألوهيـة يتضـمن توحيـد الربوبية والأسماء والصفات؛ أظن هذا واضح.

ثم بيَّن المؤلف -رحمه الله- التوحيـد بـأدلته؛ فبـدأ بالآيـات ثم بالأحاديث، وهذا مـن حسـن الأدب فـي الاسـتدلال أن يبـدأ بالآيات القرآنية ثم بالأحـاديث النبويـة ثـم بالآثـار الـواردة عـن الصحابة الكرام أو التابعين مما له علاقة بالنصوص غير أنـه إن لم يحصـل مـن المسـتدل هـذا الـترتيب؛ فلا حـرج عليـه؛ كـأن يكون قدم الأحاديث وذكر وجاء بالآيات لا يضر ذلـك، ولا يعتـبر قدحًا في حقه ولا إثم عليـه؛ لكـن الـترتيب أفضـل سـواء فـي التأليف أو في الخطابة أو في الاستدلال للأحكام أو نحو ذلك.

**المتن:**

وقوله تعالى: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُـلِّ أُمَّـةٍ رَسُـولاً أَنِ اعْبُـدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} [النحل: 36]

**الشيخ :** هذه أول آيه

**الطـالب:** قـال: وقـول اللـه تعـالى: {وَمَـا خَلَقْـتُ الْجِـنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [الذريات:56]

**الشيخ:**

نعم هذه أول آيـة اسـتدل بهـا المؤلـف -رحمـه اللـه- علـى وجوب توحيد الله -تبارك وتعـالى- فجـاء بقـوله: {وَمَـا خَلَقْـتُ الْجِنَّ}؛ يقول الله -عـز وجـل- الخـالق الـرازق: {وَمَـا خَلَقْـتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} حصر وقصـر بيـان للحكمـة البالغـة من خلق الإنس والجن ألا وهي: عبادته وحده دون سواه؛ ومـا هي العبادة؟

عرفها الإمام ابـن تيميـة -رحمـه اللـه- بتعريـف جـامع فـي رسالة العبودية وهي قوله: "العبادة اسم جـامع لكـل مـا يحبـه الله ويرضـاه مـن الأقـوال والأفعـال الظـاهرة والباطنـة" وهـو تعريف لا يخرج عنه شيء من أنواع العبادات؛ اسم جامع لكـل ما يحبه الله ويرضاه من المفروضات الواجبـات والمسـتحبات وكل ما يتقرب به إلى الله -تبارك وتعالى- من الأقوال الطيبة؛ وعلى رأسها قراءة القرآن عبادة فاضلة، والذكر علـى اختلاف أنواعه من تسبيح لله وتحميد وتهليل وتكـبير وتوبـة واسـتغفار؛ ذكر بالقلب واللسان وأفعال على اختلاف أنواعها؛ من صلوات وصوم وطلب للعلم وحج وعمرة وجهـاد وغيـر ذلـك؛ حـتى مـا يعمله الإنسان لقضاء حاجته الدنيوية بحسن النية يكـون عبـادة لله -تبارك وتعـالى-؛ إذا نـوى بـه الاسـتعانة علـى طاعـة اللـه؛ سواء كان حرَّاثًا أو صاحب بيع وشراء أو في عمـل وظيفـي أو صَنَّاع على اختلاف أنواع الصناعات؛ يحتسب بقلبه لأنه يريد أن يكف وجهه وأن ينفق على نفسه وينفق علـى مـن يعـول، وإن جمعت له الأموال أدى حق الله منها له أجـر عظيـم فـي هـذه الأعمال.

إذًا فالعبادة؛ كما قال ابن تيمية: "اسم جامع لكل مـا يحبـه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة" الظاهرة التي يراها النـاس كالصـلاة والزكـاة والصـوم والحـج ونحوهـا،

والباطنـة مـن الأعمـال الباطنـة كالتوكـل علـى اللـه والرغبـة والرهبة والخشوع والخشية والإنابة هـذه أعمـال مـن الأعمـال الباطنة، وكلها عند اللـه -عـز وجـل- مـن الأعمـال الـتي يـثيب أصحابها؛ قال تعـالى: {مَـا أُرِيـدُ مِنْهُـمْ مِـنْ رِزْقٍ وَمَـا أُرِيـدُ أَنْ يُطْعِمُونِ} [الذاريات: 57]؛ أي: ما خلقهم ليرزقوا أنفســهم أو يرزقوا غيرهم ولا يطعمـوا أنفسـهم أو يطعمـوا غيرهـم ولكنـه خلقهم لغاية مجيده وعمل جليل ألا وهي عبادته وحده دون مـا سواه نعم .

**المتن:**

قال: وقـوله تعـالى: {وَلَقَـدْ بَعَثْنَـا فِـي كُـلِّ أُمَّـةٍ رَسُـولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} [النحل: 36]

**الشرح:**

هذه الآيـة الكريمـة فيهـا بيـان أن اللـه -عـز وجـل- أرسـل لجميـع أمـم الأرض، وأمـم أهـل الأرض كمـا ثبـت فـي السـنن سبعون أمة؛ كما في السنن أن النبي صـلى اللـه عليـه وسـلم قال: ((أنتم توفون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمهـا علـى اللـه -تبارك وتعالى-)) وهذه الأمم ما من أمة إلا وأتى لها نـذير إمـا رسول مرسل أو نبي من الأنبياء وإما وارث من ورثـة الرسـل والأنبياء وهـم العلمـاء؛ لـذا رفـع اللـه -عـز وجـل- قـدر العلـم والعلماء؛ لأنهم ورثة الرسل والأنبياء، والرسـل والأنبيـاء تلقـوا العلم من الله -جل جلالـه-؛ لـذا عَظُـمَ قـدر العلمـاء العـاملين بعلمهم، المتميزين عن جُهَّال الناس وسفهائهم والقـائمين بمـا قام به رسل الله الكـرام وأنبيـاءه العظـام بقـدر اسـتطاعتهم، وفي الحديث: ((إن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لـم يورثـوا دينارًا ولا درهماً وإنما ورثوا العلم فمن أخذ به فقد أخـذ بحـظ وافر)) وفي أحـاديث كـثيرة بيَّـن فيهـا النـبي صـلى اللـه عليـه وسلم قدر العلم وشرف العلماء اللذين بذلوا جهودهم وأخــذوا نصيبهم من العلم الذي يرفع الله به العبد درجات عاليات؛ كما قال -وقوله الحق-: {يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُــوا الْعِلْــمَ دَرَجَــاتٍ} [المجادلـة: 11] وقـال سـبحانه: {قُـلْ هَـلْ يَسْــتَوِي الَّــذِينَ يَعْلَمُــونَ وَالَّــذِينَ لَا يَعْلَمُــونَ} [الزمــر: 9]

والجواب: لا يستوي العالم بالله وبأمره والجاهل لا في الدنيا ولا في البرزخ ولا في الآخرة، وقال الله -عز وجل-: {أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى} [الرعد: 19] والجواب: لا الذي يعلم إنما أنزل إلى محمدًا صلى الله عليه وسلم هو الحق مبصر يبصر الطريق وهو سائر إلى داره دار الآخرة، وأما الجاهل فهو بمنزلة الأعمى الذي يعيش في أخطار، ولا يذهب هذا العمى إلا بالتفقه بالعلم وأخذ النصيب الوافر من العلم؛ فيصبح مبصرًا، وأعظم شيء يبصر به التوحيد؛ لأن التوحيد هو أصل الدين وهو الذي لا تقبل الأعمال إلا بوجوده لو كان لك ملئُ الأرض ذهبًا وفضة وأنفقتها بدون توحيد؛ ما قبل الله ذلك منك؛ لكن مع التوحيد يقبل الله عز وجل سائر الأعمال إذا لم يمنع من ذلك مانع يأتي به الإنسان؛ فإذًا هو أساس الدين وأصله به تقبل الأعمال وبدونه لا تقبل الأعمال أبدًا، والمراد به أنواع التوحيد الثلاث التي سبق ذكرها، وبقية الأعمال كلها من حقوق التوحيد ومكملات التوحيد كبقية أركان الإسلام وأركان الإيمان وركن الإحسان ومعرفة بقية الأحكام كلها حقوق للتوحيد ومكملات للتوحيد. نعم.

**المتن:**

وقوله تعالى: {وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً} [الإسراء: 24].

**الشرح:**

وقوله -تبارك وتعالى-: {وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ}؛ القضاء نوعان: قضاء كوني وقضاء شرعي؛ فالقضاء الكوني هو ما كتب في الأزل في اللوح المحفوظ هذا قضاء كوني الكلام في كالإرادة الكونية والمشيئة المتعلقة بالإرادة؛ فما

قضاه الله -عز وجل- في الكون لابـد أن يقـع كمـا قضـاه اللـه وقدره، والقضاء الشرعي وهو المقصود هنا: {وَقَضَـى رَبُّـكَ}؛ أي: أمر ووصى شرعًا هو التكاليف هو ما كلف الله -عز وجل- به العباد أمر العباد بـأوامر ونهـاهم عـن منـاهي، وهـذا يسـمى القضاء الشرعي؛ فـوجب علـى العبـاد أن يمتثلـوا الأوامـر وأن يجتنبـوا المحـارم وأن يـؤدوا الفـرائض وأن يقيمـوا الواجبـات ويتقربوا بما استطاعوا مـن المسـتحبات، فهـو قضـاء شـرعي مقتضى هذا القضاء أو مقتضيات هذا القضـاء؛ أن لا تعبـدوا إلا إياه وجوب العبادة لله وحده دون سواه؛ فمن صرفها لغير الله فقد كفر أو أشرك، ولما كان حق الوالـدين عظيـم قرنـه اللـه -تبارك وتعالى- بحقه؛ لأن الحق الأعظـم للـه -تبـارك وتعـالى- الخــالق الــرازق المحيــي المميــت المتفضــل علــى جميــع مخلوقـاته؛ لـه الحـق الأعظـم، ومـن الخلـق للوالـدين الحـق الأعظم لما لهما من الفضل والإحسان على ابنهمـا ذكـرًا كـان أو أنثى؛ فكم تقاسي الأم حـال الحمـل وحـال الإرضـاع وحـال الحضانة ودائمًـا وأبـدًا الأم معلـق قلبهـا بابنهـا تريـد لـه الخيـر وتكره له الشر، والأب الكادح الذي يقوم بشؤون أبنـائه ذكـورًا وإناثًا، ولا يرضى التقصير في حقهم؛ لعظم شأنهم وصـى اللـه -تبـارك وتعـالى- بهمـا، وأن يحســن المولـود إليهمـا إحســانًا متواصلاً في حال الحياة وبعد الممـات، وذلـك ببرهمـا والحـذر من عقوقهما، ومن أصـناف الـبر: لـين الجـانب لهمـا، وحسـن الأدب معهما، والقيام بالخدمة التي يحتاجان إليهما مـن ابنهمـا بنفس طيبة؛ فهي من أسباب النجاة من عقوبات الله العاجلـة والآجلة، وكل ذلك مع التوحيد وبدون التوحيد لا يقبل لـه عمـل [الإنسان]. وفي قصة الثلاثـة الـذين أواو إلـى الغـار فـانطبقت عليهم صخرة فلم يستطيعوا الخروج؛ فتشاوروا أن يـدعوا كـل واحد منهـم ربـه ليفـرج عنهـم ويتوسـل بصـالح عملـه؛ فـدعا أحدهم؛ فقال: "اللهم إنه كان لي أبوان وكنت لا أغبق قبلهما"؛ أي: من اللبن "فذات يومٍ نـاء بـي الشـجر فرجعـت وقـد نامـا فحلبت لهما غبوقهما وكرهـت أن أُقظهمـا والقـدح علـى يـدي حـتى طلـع الفجـر والصـبية (...) عنـد قـدمي؛ اللهـم إن كنـت عملت ذلك ابتغاء مرضاتك ففرج عنا ما نحن فيـه" فـانفرجت

الصـخرة نوعًـا مـا؛ فـدعا الثـاني والثـالث فـانفرجت الصـخرة بفضل الله ثم بصالح الأعمال التي يقدمها الإنسان مخلص فيها لله -تبارك وتعالى- ومن ذلك بر الوالـدين؛ ومـن بـر الوالـدين: التعليم فقد يكـون الوالـد أو الوالـدة فـي جهـل؛ فيبـذل الولـد الجهل فـي تعليمهمـا أمـر الـدين الـذي أوجبـه اللـه علـى كـل مكلف؛ وهذا من أفضل البر وخير الإحسان.

وأمـا الـذي يبغضـه اللـه فهـو العقـوق فـي القـول والفعـل والتمرد علـى الوالـدين ونسـيان مـا لهمـا مـن الحقـوق، وهـذا -والعياذ بالله- ظلم للنفس وإسـاءة إليهـا؛ لأن عقوبـة العقـوق تعجل في الدنيا قبل الآخرة مع ما ادخر الله للعاق لوالديه من العقوبة في الآخرة .

**المتن:**

بسم الله والحمد الله و الصلاة والسلام على رسول الله

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى-:

وقوله تعالى: {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً} [النسـاء: 36].

**الشرح:**

الآية الكريمة: {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً} [النساء: 36].

في معنى: "لا إله إلا الله"؛{اعْبُدُوا اللَّهَ}؛ بمعنى: إلا اللــه، {لا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً}؛ بمعنى: لا إله.

إذاً فالجملة {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِـهِ شَـيْئًا} [النسـاء: 36] في معنى: "لا إله إلا الله"، والعبادة كما عرفها ابن تيميـة -رحمه الله- بقوله: "هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضــاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة"؛ قال: "لكل مـا يحبـه الله ويرضاه"، والأفعال كثيرة منها ما يحبه الله ويرضاه، ومنها ما لا يحبه الله ولا يرضاه؛ فالعبادة اسـم جـامع لكـل مـا يحبـه الله ويرضاه من الأقوال؛ الذي قال الله -عز وجل- فيه: {إِلَيْـهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ} [فـاطر: 10]؛ فكـل قـول حسـن عبـادة، وعلى رأسها قراءة القرآن، وكل فعل حسن فهـو عبـادة وفـي مقدمة ذلك إقامـة الصـلوات وسـائر أركـان الإسـلام والإيمـان والإحسان؛ لذا قال الله -تبارك وتعـالى- {وَاعْبُـدُوا اللَّـهَ}؛ أي: وحـدوه؛ فالتوحيـد شـرط فـي قبـول سـائر الأعمـال، وبـدون التوحيد لا يقبل عمل من عامل لا صلاة ولا صدقة ولا صوم ولا حج إلى غير ذلك؛ لا تقبل إلا إذا كان العبـد موحـدًا سـليمًا مـن الشــرك الأكــبر والكفــر الأكــبر والنفــاق الإعتقــادي والإلحــاد المخرج من الملة؛ عند إذًا إذا سلم من هذه الأفعال والأعمــال السيئة؛ قُبِلَ عمله، قُبِلَتْ الأعمال لوجـود التوحيـد للــه -تبـارك وتعالى- وهو أساس الدين وأساس العبادة، وأكـد اللــه -تبـارك وتعالى- الأمر بعبـادته وحـده أكـده بـالنهي عـن الشـرك: {وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا} من الأشياء كالأصنام والأوثان التي تعبد مــن دون الله، {وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا}؛ أي: رياءً وسمعة؛ بـل يجـب أن يكون العمل خالصًـا للـه تعـالى؛ لـذا عـرف بالاسـتقراء أن لقبـول العمـل شـرطين: الشـرط الأول: الصـواب، والشـرط الثاني: الإخلاص؛ فإذا تـوفر الشـرطان قُبِـلَ العمـل؛ الصـواب والإخلاص.

والصواب أن يكون العمل على وفق ما جاء به النبي صـلى الله عليه وسلم، والإخلاص أن يكون القصد من العمل القصــد به وجه الله و الدار الآخرة.

والشرك ضد التوحيـد، وهـو نوعـان: أكـبر وأصـغر والفـرق بينهمـا أن الشـرك الأكـبر مخـرج مـن ملـة الإسـلام إن كـان

صاحبه قبله مسلمًا كالردة، والأصغر لا يخرج مـن الملـة وإنمـا هو أكبر من الكبائر، والخلاف فيه هل يغفر لصـاحب الكبـار أم أنه لابد أن يعذب بقدر ما وقع من الشرك؟ فالـذي دلـت عليـه الأدلة أن الشرك الأصـغر مثـل الكبـائر مـن حيـث كـونه تحـت المشيئة الإلهية؛ فهو تحت المشيئة الإلهيـة إن شـاء اللـه غفـر لصاحبه -مع أنه مستحق للعذاب- وإن شاء الله عذبه بقـدر مـا جنـى مـن الشـرك الأصـغر ومـآله الجنـة، ولمـا رتـب العلمـاء الذنوب والمعاصي؛ قالوا: أعلاها الشرك الأكـبر والكفـر الأكـبر والنفاق الإعتقادي والإلحاد المخرج من الملـة وهـو داخـل فـي الشرك أو الكفر؛ ثم الشرك الأصـغر يليـه فـي القـدر الشـرك الأصغر وهو دون الشرك الأكبر.

ثالثًا: البدع القولية والإعتقادية والفعلية قبل الكبائر، رابعًـا: الكبائر كبائر الذنوب، خامسًا: الصغائر.

وهو ترتيب مبني على الأدلـة مـن الكتـاب والسـنة؛ أعظـم الـذنوب علـى الإطلاق الشـرك الأكـبر والكفـر الأكـبر والنفـاق الإعتقـادي، يليـه فـي العِظَـمِ والخطـر: الشـرك الأصـغر، يلـي الشرك الأصغر: البدع المضلة، يلي البدع: كبائر الـذنوب، يلـي الكبائر: الصغائر.

والسعيد من نجـا مـن هـذه المعاصـي كبائرهـا وصـغائرها، ومن وقع في الصغائر أهون من الذي يقع في الكبـائر، وهكـذا بقية المعاصي والذنوب.

والشرك نوعان: شركًا أكبر مخرج من الملة وشرك أصـغر لا يخرج من الملة، ولكن صاحبه على خطر؛ لأنه أشرك بـالله، وقد قال الله -تبارك وتعالى-: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِـرُ أَنْ يُشْـرَكَ بِـهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} [النساء: 48].

ومـن العلمـاء مـن عـد الشـرك ثلاثـة أنـواع: أكـبر وأصـغر وخفي؛ أي: شرك خفي، والصـحيح أن الشـرك الخفـي يتنـاول النوعين يتنـاول الشـرك الأكـبر ويتنـاول الشـرك الأصـغر فقـد يكون الأكبر خفيًّا، وقد يكون الأصغر كذلك خفيًّا، والشاهد مــن الآية: {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا}؛ أي وحدوه وأفـردوه بالعبادة وحده دون سواه ولا تشركوا معه أحد مـن مخلوقـاته. نعم.

**المتن:**

وقوله: {قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِــهِ شَيْئاً} [الأنعام:151] الآيات.

**الشرح:**

الشاهد في الآية: {أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً}؛ أي: أفـردوه بكـل عبادة مالية أو بدنية أو هما معًا وحده دون سـواه، ولا تجعلـوا لله شريكًا في العبادة؛ فإن الله -تبارك وتعـالى- لا شـريك لـه في عبادته كما ليس له شريك في ملكه وخلقه ورزقه وجميـع التصرفات التي لا يملكها إلا الخالق –سـبحانه-، وقـد جـاء فـي الآيات الثلاثة من سورة الأنعام: {قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ} ثم ابتدئها بـأعظم الـذنوب {أَلَّا تُشْـرِكُوا بِـهِ شَـيْئاً} لا قليلاً ولا كثيرًا لا كبيرًا ولا صغيرًا ثـم ذكـر عشـرة مـن الأوامـر والنواهي في ثلاث آيات؛ حتى قـال ابـن مسـعود -رضـي اللـه عنه-: "من أراد أن ينظـر إلـى وصـية محمـد صـلى اللـه عليـه وسلم التي عليها خاتمه؛ فليقرأ قول الله تعـالى: {قُـلْ تَعَـالَوْا أَتْلُ مَـا حَـرَّمَ رَبُّكُـمْ عَلَيْكُـمْ} إلـى قـوله: {وَأَنَّ هَـذَا صِـرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُـونَ} [الأنعـام: 153] فهـي عشـر وصـايا جامعه لأصول الدين وحقوقه ومكملاتـه بمـا يتعلـق بحـق اللـه -عز وجل- وفيما يتعلق بحق الغير، فكأنه قال لـو أن الرسـول عليه الصلاة والسلام وصى؛ لوصى بهذه الوصايا العشـر؛ الـتي هي جامعه لأصول الدين وحقوقه ومكملاته، وعلى رأسها الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك. نعم .

**المتن:**

قال ابن مسعود –رضي الله عنه-: "من أراد أن ينظـر إلـى وصية محمد صلى الله عليه وسلم الـتي عليهـا خـاتمه فليقـرأ قوله تعالى: {قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُـمْ عَلَيْكُـمْ أَلَّا تُشْـرِكُوا بِهِ شَـيْئاً} - إلـى قـوله تعـالى: {وَأَنَّ هَـذَا صِـرَاطِي مُسْـتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ} الآية.

**الشرح:**

فسر النبي صلى الله عليه وسلم هذه الآية بالقول والفعل؛ فجاء عن ابن مسعود أن الرسول صلى الله وسلم قرأ عليه هذه الآية: {وَأَنَّ هَـذَا صِـرَاطِي مُسْتَقِيماً}؛ أي: الدين دين الإسلام فخط خطًا طويلاً مستقيمًا؛ وقال: "هذا سبيل الله"، وخط خطوطًا عن يمينه وشماله، وقال: "هذه خطوط على كل خط شيطان يدعوا إليه فمن أجابه قذفوه في النار"؛ فالمقصود: أن الصراط المستقيم أمر الله -عز وجل- بسلوكه ودعا الناس إلى أن يطلبوا الهداية إليه هو الطريق الصحيح الموصل إلى رضا الله (...) جنته وما فيها من النعيم المقيم؛ فمن خرج عنه وانحرف عن الصراط المستقيم؛ وقع في المهالك إما في الشرك الأكبر وإما في الشرك الأصغر وإما في البدع المضلة وإما في كبائر الذنوب إلى غير ذلك مما لا يرضي الله -عز وجل- ولا يسلم صاحبه من العقوبات إلا من شاء الله -تبارك وتعالى- من خلقه. نعم.

**المتن:**

وعن معاذ بن جبل -رضي الله عنه- قال: "كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم على حمار؛ فقال لي: يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد؟ وما حق العباد على الله؟ قلت: الله ورسوله أعلم؛ قال: حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئًا؛ قلت: يا رسول الله، أفلا أبشر الناس؟ قال: لا تبشِّرهم فيتكلوا" أخرجاه في الصحيحين.

**الشرح:**

هذا الحديث الذي خُتِمَ به الباب فيه ذكر جمع من الفوائد؛

**أولاً:** في بيان تواضع النبي صلى الله عليه وسلم كما دلت الآيات والأحاديث على ذلك حيث أردف صاحبه معه على الحمار.

**ثانيًا:** فيه بيان جواز الإرداف على الدابة المطيقة لذلك؛ أن يركب اثنان إذا كانت تطيق ذلك.

**ثالثًا:** فيه مشروعية طرح العالم المسائل العلمية على طلابه سواء فرادى أو جماعات؛ ليحصل الاهتمام بالمسائل التي تطرح.

**رابعًا:** فيه رد العلم إلى الله وإلى رسوله عليه الصلاة والسلام أيام حياته لمن لا يعلم؛ فيقول: "الله أعلم أو يقول الله ورسوله أعلم"، وبعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم الرجوع إلى الكتاب وإلي السنة، والبحث فيهما عن مسائل العلم فما شيء يخفى على المرء إلا وهو موجود ومُبيَّن في القرآن الكريم أو السنة المطهرة؛ لأن الله عز وجل قال عن القرآن {تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ}، وقال في السنة: ((تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك)) وقال فيهما جميعًا: ((إن تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي كتاب الله وسنتي)).

**خامسًا:** بيان أنَّ الله -تبارك وتعالى- له الحق على مخلوقاته جميعًا كل بحسب حاله، ومنهم عالم الإنس والجن؛ لله الحق عليهم أن يفردوه بالعبادة وحده دون سواه، ولا يشركوا معه أحد من مخلوقاته لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا من كان دونهم من الصالحين، وما كان دون ذلك مما كان يُعبد من دون الله؛ الأشجار والأحجار (..) والأوثان إلى غير ذلك؛ فهذا حق الله -تبارك وتعالى- على العباد أن يوحدوه ولا يجعلوا معه شريكًا في العبادة التي هي أنواع متعددة؛ كما أنه ليس له شريك في خلق المخلوقات ولا في رزق المخلوقات ولا في حفظهم وإحيائهم وإماتتهم؛ لا يجوز أن يجعلوا له شريكًا في العبادة؛ فهو الخلاق العليم وهو المتفضل عليهم، وهو الآمر لهم أن يعبدوه وحده دون ما سواه؛ فوجب امتثال أمره واجتناب نهيه؛ هذا حق أحقه الله وأعلنه في القرآن الكريم؛ أن يعبدوه؛ أي: يوحدوه؛ بل يعبدوه بما تحمل كلمة العبادة من معنى كما سبق معنا، ولا يشركوا به شيئًا أبدًا؛ ثم

قال: "وحق العباد على الله ألا يعذب مـن لا يشـرك بـه شـيئًا" وهذا الحق أوجبه الله -عز وجـل- علـى نفسـه تكرمًـا وتفضـلاً على مخلوقاته ولم يوجبه أحد مـن الخلـق ؛كمـا تقـوله الفـرق المبتدعة كالمعتزلـة؛ إن اللـه يجـب عليـه الأصـلح! هـؤلاء مـن أجهل الناس بحق الله -تبارك وتعالي- وقـدره مـا قـدروه حـق قدره؛ فقالوا: إنه يجب عليه فعل الأصلح للناس! وأهل السـنة والجماعة يقولون في هذا الحديث: إن الله أوجب على نفسـه تفضلاً وتكرمًا ألا يعذب من لا يُشرك به شيئًا؛ أي: لا يعذبه كما يعذب الكفار الذين لهم الخلود في نار جهنم، وقـد يعـذب مـن يعذب من المسلمين من أهـل الكبـائر ومـن أهـل البـدع ومـن أهل الشرك الأصغر يعذبهم، ولكن بنار غيـر نـار الكفـار، وفـي طبقة غير طبقات الكفار -والعياذ بالله-، فهناك طبقة في النار أعلـى الطبقـات؛ هـي: عقوبـة الموحـدين ممـن يعـذبهم اللـه -تبارك وتعالى- يعاقبهم فيها في هذه الطبقة، وليس في النـار شيء هيـن ولكـن عـذابه يتفـاوت، يتفـاوت مـن حيـث العظـم والزمـن؛ فطبقـة كـبرى لعصـاة الموحـدين اللـذين اسـتحقوا العـذاب وأرادوا اللـه تعـذيبهم يعـذبهم فيهـا لا يعـذبهم بنـار المشركين التي يخلدون فيها دائمًا وأبدًا؛ لـذا جـاء فـي حـديث الشفاعة ما تعلمونه من أن اللـه -عـز وجـل- يـأذن للشـافعين [في] عصاة الموحدين أن يشـفعوا؛ فيشـفع النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم إعتـاق الموحـدين؛ كمـا فـي قـوله عليـه الصـلاة والسلام: ((جعلت شفاعتي لأهـل الكبـائر مـن أمـتي))؛ يشـفع فيهم فيشفعه الله، وتشـفع الملائكـة فيشـفعهم اللـه، ويشـفع الصالحون بعضهم مـع بعـض فيشـفعهم اللـه، ويناشـدون اللـه -تبارك وتعالى-؛ أي: يطلبونه بإلحاح أن يخـرج إخـوانهم الـذين كانوا يصلون معهم ويصومون معهم ويجاهدون معهم من النار؛ فيقول الله –سبحانه-: ((اذهبوا فأخرجوا من النار من كان في قلبه أدنى أدنى مثقال حبة خردل مـن إيمـان)) فلا يبقـى في النار إلا من [حبسه القرآن] وهم أهل الخلود، وأمـا عصـاة الموحدين فلا يبقى في النار أحد، والقصة مشـهورة وصـحيحة بأنهم يوضعون في نهر الحياة على أفواه الجنة ويـرش عليهـم من ماء الجنة وينبتون نباتًا ويعيد الله أرواحهم إلـى أجسـادهم؛

فيدخلون الجنة فيرون أنهـم لـم يعطـى أحـد مثـل مـا أعطـوا، وهذا عظـم فضـل اللـه -تبـارك وتعـالى- وسـعة رحمتـه الـتي وسعت كل شيء؛ إذًا فهذا الحـق الـذي أحقـه علـى نفسـه ألا يعذب من لا يشرك به شيئًا؛ أي: كما يعذب الكفار والمنـافقين الخالدين المخلدين في النار، ولكن من أراد الله أن يعذبه وهو أحكم الحاكمين من عصاة الموحدين؛ ففي طبقـة النـار العليـا لمدة معلومة علمها الله وقدرها الذي لا تخفى عليه خافيه ثــم يكون مآلهم إلى الجنة؛ لأنهم ليسوا كالمشركين الذين عاشــوا على الشرك ومـاتوا علـى الشـرك الأكـبر، ولا كالكفـار الـذين عاشوا على الكفر وماتوا على الكفر -والعياذ بالله- وفي جانب هذا حرم الله على نفسه الظلم؛ كما في الحديث القدسي: "يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا" فنزه نفسه عن الظلم وعن إرادة الظلـم {وَمَـا اللَّـهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ} [آل عمران: 108] فإذا نـزه نفسـه عـن إرادة الظلم؛ فهو عن الظلم أبعد فلا يظلم الله أحدًا {إِنَّ اللَّـهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُـونَ} [يـونس: 44]

{إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا} [النساء: 40] وصلى اللـه وسـلم علـى نبينا محمد.

**المتن:**

بسم الله والحمد الله والصلاة والسلام على رسول الله

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى-:

باب: فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب

وقول الله تعالى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَـانَهُمْ بِظُلْـمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ} [الأنعام: 82]

عن عبادة بن الصامت -رضي الله عنه- قـال: قـال رسـول الله صلى الله عليه وسلم: ((من شهد أن لا إله إلا اللـه وحـده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسـوله، وأن عيسـى عبـد اللـه ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق والنـار حق؛ أدخله الله الجنة على ما كان من العمل" أخرجاه.

ولهما في حديث عتبان: "فإن الله حرم على النار من قـال لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله".

وعن أبي سعيد الخدري عن رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسلم قال: "قال موسى: يا رب علمني شيئًا أذكـرك وأدعـوك به؛ قال: قل يا موسى: لا إله إلا الله; قال: يـا رب كـل عبـادك يقولون هذا؛ قال: يا موسى لو أن السموات السـبع وعـامرهن غيري والأرضين السبع في كفة، ولا إله إلا الله في كفة؛ مالت بهن لا إله إلا الله". رواه ابن حبان والحاكم وصححه.

وللترمذي وحسـنه عـن أنـس –رضـي اللـه عنـه-: سـمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "قال اللـه تعـالى: يـا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بـي شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة".

**الشيخ:** أقرأ جملة جملة.

**الطالب:** قال -رحمه الله-: باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب

وقول الله تعالى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ} [الأنعام: 82].

**الشرح:**

الحمد الله رب العالمين، اللهم صلِّ وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قال -رحمه الله- باب: فضل التوحيد، الباب في اللغة: ما يدخل منه ويخرج، وفي الاصطلاح: اسم لجملة من العلم يشتمل على فصول ومسائل غالبًا، وهذا الباب معقود لبيان فضل التوحيد؛ أي: الفضل الذي يناله الموحدون، الفضل الذي يترتب على تحقيق التوحيد؛ قال: وما يكفر من الذنوب؛ أي: التوحيد وما يكفره من الذنوب، وتكفير الذنوب من فضل التوحيد، والأمن التام في الدنيا و البرزخ و الآخرة من فضل التوحيد، والهداية للعبد هداية التوفيق والصلاح من فضائل التوحيد؛ أي: لا يعطى من هذه الخصال الثلاث إلا من كان موحدًا؛ وهي: تكفير الذنوب والأمن التام والاهتداء التام، والموحدون يتفاوتون في التوحيد وبتفاوتهم في التوحيد يتفاوتون في فضل التوحيد، يتفاوتون في فضل الذي يناله الموحدون، وأقوى الناس توحيدًا وأتمهم معرفة بالتوحيد وأحسنهم تطبيقًا لمسائل التوحيد وقضاياه؛ يكون له الأمن التام وتكفير الذنوب التكفير الكامل والاهتداء التام، وكلٌ يأخذ بحصته وربك واسع المغفرة يزيد عباده من فضله؛ لذا جاء المؤلف -رحمه الله- بالدليل على فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب بآية الأنعام هذه: {الَّذِينَ آمَنُوا} الموصول من أداة العموم يشمل كل مؤمن ومؤمنة من أولى الأمم وأخرها {الَّذِينَ آمَنُوا}؛ أي: صدقوا بما يجب التصديق به بقلوبهم {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ}، والمراد بالظلم هنا: الشرك، وأعظمه وأشده: الشرك الأكبر؛ آمنوا: صدقوا

بقلوبهم وعملوا الصالحات بجـوارحهم، {وَلَـمْ يَلْبِسُـوا إِيمَـانَهُمْ بِظُلْمٍ} هـذا بشـرك؛ مـاذا يـترتب علـى الإيمـان والبـراءة مـن الشـرك؟ الأمــن التــام والاهتــداء التــام {لَهُــمُ الْأَمْــنُ وَهُــمْ مُهْتَدُونَ}؛ فهنيئًا للموحدين الذين حققـوا التوحيـد وتـبرؤا مـن الشرك والمشركين، وكل طاعة تزيـد فـي توحيـد العبـد وكـل معصية تنقص من التوحيد، وكلما ازداد الإنسان من الطاعـات؛ ازداد له الأمن والاهتداء، وكلما نقص بسبب التقصير أو بسـبب ارتكاب المآثم؛ نقص الأمـن والاهتـداء وهـذا هـو العـدل الـذي يجــب أن يوصــف بــه الــرب الكريــم "إن اللــه يــأمر بالعــدل والإحسان". نعم.

## المتن:

عن عبادة بن الصامت -رضي الله عنه- قال: قـال رسـول الله صلى الله عليه وسلم: ((من شهد أن لا إله إلا اللـه وحـده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسـوله، وأن عيسـى عبـد اللـه ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق والنــار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل" أخرجاه.

## الشرح:

وهذا نص صريح على بيان فضل التوحيد؛ لأن شــهادة أن لا إله إلا الله هي التوحيد أساس التوحيد وأصله، مـن شـهد أن لا إلا الله عالمًا بمعناها وعاملاً بمقتضاها، مستيقنًا بها قلبه عاملاً بمقتضاها بجوارحه مستوفيًا لشروطها؛ نال فضل التوحيد شهد أن "لا إلــه إلا اللــه وأن محمــدًا رســول اللــه" الجمــع بيــن الشهادتين ركن واحد؛ أول ركن من أركان الإسلام، وبدون هذا الركن لا يُقبَل أي عمل من الأعمال، لا قول ولا فعـل لا ظـاهر ولا بـاطن؛ حـتى يشـهد العبـد أن "لا إلـه إلا اللـه وأن محمـدًا رسول الله".

وقد ذكر العلماء رحمهم اللـه لشـهادة أن "لا إلـه إلا اللـه" أركانًا وشروطًا وحقوقًا ومكملات؛ ذكروها بالتتبع والاستقراء.

فمـن شـروط "لا إلـه إلا اللـه": العلـم بمعناهـا، ومعناهـا: النفي والإثبـات، وهمـا ركنـا "لا إلـه إلا اللـه" النفـي والإثبـات؛ النفي المعروف من قولك: "لا إله"، والإثبـات مـن قولـك: "إلا الله"؛ إذًا فالعلم بمعناها والعمل بمقتضاها شرط مـن شـروط "لا إله إلا الله"، وقبولها من النـاطق بهـا؛ بالإضـافة إلـى بقيـة الشروط؛ اليقين: أن يقولها وهو مستيقن بها قلبـه غيـر شـاك ولا متردد، وهذا لا يتـم لـه إلا بمعرفـة معناهـا "لا إلـه"؛ أي: لا معبود حقًا إلا الله وحده لا شـريك لـه، لا معبـود حـق إلا اللـه، والقبول؛ أي: أن يقبل ما دلت عليه لا إله إلا الله من المعـاني، والانقياد: أن يكون منقادًا لما دلت عليه من المعنى؛ من معنى النفي والإثبات؛ نفي الألوهية عمن سوى الله وإثبـات الألوهيـة لله دون سواه؛ والإخلاص: أن يكون مخلصًا في قول "لا إله إلا الله" غير شاك وغير مكذب، وأن يكـون صـادقًا لا يكـون كاذبًـا كمـا كـان المنـافقون يقولـون "لا إلـه إلا اللـه" وهـم كـاذبون، والمحبة؛ أي: أن يحب هذه الكلمـة الـتي هـي العـروة الـوثقى وكلمـة الإخلاص وكلمـة التقـوى أن يحبهـا ويحـب مـن أنزلهـا القائل سبحانه: {فَـاعْلَمْ أَنَّـهُ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللَّـهُ وَاسْـتَغْفِرْ لِـذَنْبِكَ} [محمد: 19] ويحب من بلغها وهو رسول الله صلى اللـه عليـه وسلم وبين فضـلها وقـدرها، ويحـب مـن اتبعهـا مـن آمـن بهـا واعتز بها وجاهد في سبيل إعلائها بالقول أو بالفعل أو بالتعليم أو نحو ذلك، وبعضهم زاد شرطًا ثامنًا هذه سبعة شـروط، وزاد البعض شرطًا ثامنًا وهو: الكفـر بمـا يعبـد مـن دون اللـه –عـز وجل-، وهذا معنى البراءة الكفر أن يتبرأ المسـلم مـن عقيـدة الكفار ومما يعبدون، ويتولى عباد اللـه المـؤمنين، وشـهادة أن محمدًا رسـول اللـه كـذلك لهـا شـروط ذكرهـا العلمـاء وعلـى رأسها: الإيمان برسالته عليه الصلاة والسلام، الإيمان برسـالته وأنه رسول الله حقًا، وأنه خـاتم المرسـلين وإمـامهم وأفضـل خلق الله أجمعين، وأنـه الصـادق المصـدوق؛ فيـؤمن برسـالته التي خُتِمت بها الرسالات فلا نبي بعـده، وهكـذا: محبتـه وجـود محبته عليه الصلاة والسلام محبة شرعية لا غلو فيها ولا جفاء؛

أهــل الجفــاء أعــداء الــدين وأعــداء رب العــالمين وأعــداء المرسلين، ومنها: تقديم قوله على قول كل أحـد مـن البشـر، ومنها: تصديقه في كل ما أخبر بـه مـن الأخبـار الماضـية ومـن الأخبار المستقبلة مما جاء به الكتاب والسنة فكم قص القرآن العظيم علينا من الأخبار التي من غابر الأزمان قصص الرســل والأنبياء، وما جرى من الرسل وقومهم، وبيـن رجـال صـالحين مع مجتمعاتهم وهكذا السنة جاءت بما جاء به القـرآن الكريـم، ومنها: اجتناب كل ما نهى النبي صلى الله عليه وسـلم وزجـر؛ فلابد من الوفاء بشروط هاتين الشهادتين شهادة "أن لا إله إلا الله وشهادة أن محمدًا رسول الله" وهذا أصل الدين وقاعدته.

"وشهد أن عيسى عبد الله ورسوله" كل مسـلم ومسـلمة يشهدون أن عيسى الذي جاء ذكره في القـرآن والسـنة؛ عبـد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، كل هـذه جـاء بهـا القـرآن الكريـم، وفيهـا رد صـريح علـى اليهـود والنصـارى بالدرجة الأولى بين الغلاة والجفاة؛ أما اليهود فأهل جفـاء فيـه رموا أمه بالزنا، وأما النصارى فإنهم غلـو فـي عيسـى؛ فقـالوا تارة هو الله وتارة ابـن اللـه وتـارة ثـالث ثلاثـة؛ فأكـذبهم اللـه -تبارك وتعالى-: {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَـالُوا إِنَّ اللَّـهَ هُـوَ الْمَسِـيحُ} وفي قوله تعالى: { لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ} هنا يقف القارئ {لَقَـدْ كَفَـرَ الَّـذِينَ قَـالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ} وقف لازم؛ ثم يبـدأ {وَمَـا مِـنْ إِلَـهٍ إِلَّا إِلَـهٌ وَاحِدٌ} سبحانه؛ أما المسـلمون أجمعـون يشـهدون أن عيسـى عبد الله ليس ابن لله، ولا هو الله ولا ثالث ثلاثة؛ وإنما هو عبد الله ورسوله أرسله إلى بني إسرائيل، وأنزل عليـه كتـاب فيـه هدى ونور؛ وهـو الإنجيـل وأمـره ببيـان التـوراة ومـا فيهـا مـن الأحكام (ولبين لكم بعـض الـذي تختلفـون فيـه) يقـول لأمتـه: {وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَـاتَّقُوا اللَّـهَ وَأَطِيعُـونِ} [الزخرف: 63] بيَّن لهم ما أشكل في التـوراة، وبيَّـن لهـم مـا أنزله الله عليه فـي الإنجيـل؛ فهـو عبـد اللـه ورسـوله وكلمتـه وهي قوله -تبارك وتعالى-: "كن"؛ فكان كما قال -عـز وجــل-: {إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ} آدم خلقه الله من تـراب وهذا [لفظ] أمر الله به جبريل عليه السلام أن ينفـخ فـي درع

مريم وهي الفتحة التي في أعلى الثوب فوصـلت إلـى فرجهـا فتكونت بشرًا سويًّا فحملت به، والقصة مذكورة في كثير مــن سور القرآن؛ لأهميتها وعظم شأنها ودلالتها علـى كمـال قـدرة اللــه -تبـارك وتعـالى- الـذي إذا أراد شـيء قـال لـه: "كـن"؛ فيكون، ومن شهد أن الجنة حق والنـار حـق وهمـا مخلوقتـان؛ الجنة لأولياء اللـه الصـالحين وحزبـه المفلحيـن، والنـار لأعـداء الله من عـالم الإنـس والجـن والشـياطين، وأنهـا حـق كلاهمـا موجودة؛ فالمؤمنون يشهدون بذلك؛ ذكـر اللــه الجنـة ونعوتهـا وصفات أهلهـا فـي جمـل متعـددة مـن سـور القـرآن الكريـم؛ لتكون أمة القرآن راغبة فيما أعد الله -تبارك وتعالى- لهـا مـن جواره سبحانه ومن خلودهم فـي دار كرامتـه؛ كمـا ذكـر النـار وأوصافها وما هي عليه من الصفات التي تقشعر منها الجلــود؛ تحذيرًا من أسباب الدخول فيها من الأقــوال السـيئة والأفعـال القبيحة والإجرام.

وأمة القرآن تكون راغبة وراهبة، ومـن خيـر طـرق الـوعظ والإرشاد أن يجمع الإنسان بين الـترغيب والـترهيب؛ كمـا هـي طريقــة القــرآن؛ إذا ذكــر اللــه الجنــة ونعوتهــا ونعــوت أهلهــا والأعمـال الـتي صـارت سـببًا فـي دخولهـا؛ وإلا دخـول الجنـة بمحض رحمة الله وكرمه وإحسـانه، واقتسـام منازلهـا بصـالح الأعمـال، إذا ذكـر الجنـة ونعوتهـا؛ ذكـر النـار وصـفاتها؛ ليظـل المؤمنون راغبين وراهبين مما يحملهم علـى عمـل الصـالحات وترك المنكرات، والرغبة فيمـا عنـد اللـه مـن الثـواب الجزيـل والنعيم المقيم، ورضا رب العالمين.

"وأن الجنة حق والنار حق أدخله الله الجنـة علـى مـا كـان من العمل"؛ أي: من حقق التوحيد صار موحـدًا؛ جمـع اللـه لـه بين خيري الدنيا والآخرة، بينما أحبه ورضـيه ونجـاه ممـا يكـره في الدنيا والآخرة، "أدخله الله على ما كان من العمل"؛ يعني: وإن كان مقصرًا وإن كان عمله الصـالح قليلاً؛ إلا أنــه لا يحــرم من الجنة إما أن يدخله ابتداء بــدون أن تمســه النـار، وإمـا أن يدخلها بعـد أن يعـذب إن اسـتحق العـذاب بقـدر جريمتـه؛ ثـم

يكون مآله إلى الجنة؛ بتكفيـر اللـه -عـز وجـل- لسـيئاته واللـه أعلم.